الملحون في الأدب المغربي

ولماذا يسمى بهذا الاسم

للأستاذ محمد الفاسي

الملحون هو الشعر باللغة العامية ، وقد برز المغاربة ، وأبدعوا قصائد رائعة فى كل فنون الشعر .

وأول مايتبادر للذهن أنه شعر بلغة لا إعراب فيها ، فكأنه كلام فيه لَحْن . وهذا الاشتقاق باطل من وجوه ، لأننا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ، وإنما باللهجات العامية ، ولم يَرد هذا التعبير عند أحد من الكتاب القدماء ، لا بالمشرق ولا بالمغرب . ولا يعقل أن يسمّىَ أحد شعره بكلمة تنمّ عن الجهل .

والذى أراه أنهم اشتقّوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى أن الأصل فى هذا الشعر الملحون أن يُنظم ليُتغنّى به قبل كل شىء . ونجد مايؤيد هذا النظر فى قول ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين « فى أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد » بعد أن تكلم على الشعر باللغة العامية فقال :

« وربما يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على الصناعة الموسيقية[1] » . ومعنى هذا أنهم لايدخلون أشعارهم فى موازين الموسيقى المعروفة ، من بَسِيط وبْطَايْحِى ونحوهما ، وإنما يجعلون لها ألحانا خاصة . وقد وقفت أخيراً على نصّ لأحد العلماء الإيرانيين من أهل القرن الثانى عشر الهجرى يقول فيه عن

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة ٢٨ / ٢ / ١٩٨٥ م .

(١) ص 582

الرباعِى فى الأَدب الفارسى . « إن الرباعى الذى يغنى به الملحون يسمَّى ترانَه بالفارسية »[1] .

ومن أسماءِ هذا الشعر عندهم « الموهوب » وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على أنهم يعتبرون الشعر كهبة من الله ، وليس هو مجرد نظم وإنما هو إيحاء وإلهام ، وكأنه يجرى على لسان الشاعر عفواً ، لذلك يسمونه أيضا « السّحيَّة » ، ويميزون بين الأَشياخ الذين يقولون الشعر والذين يحفظونه ويغنونه بقولهم « شيخ الشَّجية » للشاعر و « شيخ القَريحة » للمغنِّى .

ويطلقون عليه كذلك لفظة « الكلام » كأَن الشعر هو الكلام الحقيقى الذى يستحق أَن يحمل هذا الاسم ، وغيره كأَنه لَغْوٌ ، وكل هذه العبارات تدل على تقدير الشعب لهذا الشعر ونظره إليه بعين الإكبار والإجلال

وفى الحقيقة ، دراستنا للملحون من بين الإنتاجات الأَدبية الشعبية ، فيه تحوُّز ، إذ أَخَصُّ مميزات الأَدب الشعبى أَنه لايُعرف قائله ، وهذا هو الشأْن فى الحكايات وفى الأَمثال وفى العرُوبيات التى تعنيها النساء ، وفى نحو هذه الأَنواع الأَدبية الشعبية حقا ، أَما الملحون فلا يربطه بالناحية الشعبية إلا كَوْن قائليه فى الغالب من عامة الشعب ، وليسوا كذلك فى الغالب من المثقفين ، بل كانوا أَميّين ، وأَما من حيث اللغة العامية ، فإنها ليست لغة طبقة شعبية منحطَّة ، بل هى لغة أَرقى من اللغة التى يتكلم بها حتى المتعلمون ، لأَن شعراءَ الملحون يُدخلون فى كلامهم كثيراً من الكلمات الفصيحة بعد إحرائها على الأُسلوب العامّى ، ثم إن من بين شعراء الملحون من لَو تُرجم إنتاجهم لغة حية لعُدّوا من أَكابر شعراء الدنيا ، فيسطبق عليهم من هذه الناحية قول ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل المشار إليه آنفا :

«اعلم أَن الشعر لايختص باللسان العربى فقط ، بل هو موجود فى كل لغة سواءٌ كانت عربية أَو عجمية . »

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية تحت كلمة Rubài

إلىّ أن يقول . « ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع فى أهل كل لسان ، لأن الموازين على نسبة واحدة فى أعداد المتحركات والسواكن وتقابُلِها ، موجودةٌ فى طباع البشر ، فلم يُهجَر الشعرُ بفقدان لغة واحـدة وهى لغة مُضر . . فأما العرب أهـل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سَلَفهم من مُضَرَ ، فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الأعاريض . . . ويأتون منه بالمطوّلات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء » .

ثم قال فى تقدير هذا الشعر بعد أن ذكر أن الكثير من المتحلين للعلوم يستنكرون لهذه الفنون . « وهذا إنما أتى من فقدان المَلَكة فى لغتهم فلَو حصلت له ملَكَة من ملكاتهم لشهد له طبعه ودوقه ببلاغتها إن كان سليما من الآفات فى فطرته ونظره . . . »[1] .

وهذه الملاحظة العميقة للفيلسوف العظيم ابن خلدون ، مازلنا نشاهد آثارها إلى يومنا حيث إن الكثير لايقدِّرون الشعر الملحون ، لا لشىء إلا لعدم معرفتهم لطرقه وأساليبه ، بل للغته بمعنى أنهم لم تحصـل لهم الملَكة التى يشير إليها ابن خلدون . وكل من حصلت له يتذوقه ويعجب به ويقبل عليه

هذا وإن نظم الشعر باللغة العربية العامية وُجد فى كل عصر وكل قُطر ، إلا أن أهل الأندلس والمغرب فاقوا غيرهم فى هذه الناحية ، وذلك أنهم بعد أن اهتدوا إلى التحرر من أوزان العروض القديمة الضيقة ، واخترعوا الموشّح[2] الذى له بحور خاصة ، أخذوا ينظمون بعد ذلك فى أوزان تشبه الموشّح ، ولكن بلغتهم العامية ، وهو مايسمى بالزجَل . وقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلا للكلام على هذه الأزجال عند أعراب المغرب وعند

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ط. بيروت 1961 ص 1124 – 1125 .

(2) انظر عروض الموشح فى مجلة « الثقافة المغربية » للمؤلف عدد ص .

أهل حواضر الأندلس والمغرب ، وأتى بأمثلة من ذلك يظهر منها أن شعر الأعراب ، وإن كان بلغة عامية ، فهو لايزال قريبا من الأساليب العروضية الخليلية ، كالتزام قافية واحدة فى القصيدة وشطرين فى البيت . أما زَجَل الأمصار فابتعد شيئا ما عن هذه الأساليب . وذكر ابن خلدون كيف « استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنّاً آخر من الشعر فى أعاريضَ مزدوجة كالموشَّح ، نظموا فيه بلغتهم الحضَرية أيضا وسمّوه عروضَ البلد »[1] .

وذكر أن أهل فاس أقبلوا على النظم على هـذه الطريقة ، وكان له هنـا عبارة يراها البعض كأنها تنقيصٌ من أهل المغرب حيث قال : « وتركوا الإعراب الذى ليس من شأنهم »[2] . وليس معنى هذا أنهم لاعلاقة لهم بالإعراب، وإنما مقصوده أن النظم فى هذه الطريقة لاشأن فيه للإعراب ، وإلا فهو يعلم أن شيوخه الذين أخذ عنهم وهو شاب بتُونُس قبل قدومه على فَاس ، هم العلماء المعاربة الذين صحبوا السلطان أبا الحسن المرينى إلى تونس ، وهم الذين شوّقوه إلى التوجه إلى فاس للأخذ عن علمائها . وهو يعلم أن شأن هؤلاء مع الأعراب شأن وأىّ شأن ، فلا ملامة عليه فى تلك العبارة .

ثم ذكر أن هذا الشعر المستحدث باللغة الحضرية الفَاسِية (استفحل فيه كثير منهم ونوّعوه أصنافاً إلى المزدَوج والكازى والملْعَبة والغَزَل »[3] وقد أورد أمثلة منه لشعراء من أهل تَارَة ومن أهل زَرْهُون . وقال بعد هذا : «وأما أهل تُونس فاستحدثوا فى الملْعَبَة أيضا على لغتهم الحضرية إلا أن أكثره ردىء ولم يعْلَق بمحفوظى منه شىء لرداءته » .

موضوعات الملحـون :

إن الموضوعات التى يطرقها أشياخ الملحون يمكن أن نقول عنها من أول وهلة ، إن سائر النواحى التى نعتادها فى الشعر العربى الفصيح نجد لها مقابلا فى الملحون ، فقد نظموا فى

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ص 1160 بيروت 1961 .
(2) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .
(3) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .

لشعر الغنائى بسائر أنواعه من وصفه للطبيعة فى قصائد تسمى الربيعِيَّات ، أو تحمل أسماء مختلفة كالعرصَة ، وكالرياض ، وكالصبُوحِى ، وكالدِّيجُور ، أى الليل ، وكالفجر ، وكالذهبية أى غروب الشمس ، ونحو ذلك ، ونظموا فى وصف محالس الأنس والمرَح مع التعرّض لذكر محاسن الفاتنات فى قصائد تحمل مثل هذه الأسماء : النزهة ، والزهوْ ، وشَعْشَانة ، والغَزَال ، والمزْيَان ، وحمهور البنات ، والفصَادة والحجَّام . وتسمى بهذين الاسمين الأخيرين القصائد التى يكون موضوعها وصف الحفلات التى كانت تقام بمناسبة الفصْد .

وكتير من قصائد هدا النوع التى موضوعها وصف الحمال تُعرف باسم من أسماء النساء ، كرينَب أو فاطمة ، حتى إنك لاتكاد تحد اسم امرأة لاتوحد قصيدة أو عدة قصائد منظومة فيه ، على أن عددا كبيرا من القصائد التى تعرف باسم امرأة هى من باب النوع العرامى الذى يعبِّر فيه الشاعر عن عواطف صادقة ، ولايكون وصف الجمال إلا عَرَضًا وليس هو المقصود بالذات . والقصائد الغرامية تحمل أسماء كثيرة ، مثل المحبوب ، والمعشوق ، والجار ، والمرسول ، والجافى ، والهاجر ، واللاَّيم ، والمرسَم أى الحىّ أو المكان الذى يسكنه المحبوب ، والشمعة حيث يُشبَّه احتراقها وذوبانها وصفرتها بصفات العاشق الولهان الذى لاتنقطع دموعه ، ويحترق فؤاده وتذبل سجنته . وقد انفرد كثير من الشعراء بأسماء خاصة للقصائد التى عبروا فيها عن هُيَامهم بمحبوبتهم ، مما لايمكن استيعابه .

ونظم شعراء الملحون الخمريات والقصائد فى ذلك ، تسمى الدَّالِية ، والكَاسْ ، والخمْرية ، والسَّاقى ، والسَّاحِى ، والخمارة ، وقد برع فى هذا النوع الأدبى جل كبار الشعراء كالشيخ الجيلَالى ، والسَّى التهَامى المدَغرِى ، وسيدى قَدُّور العَلَمى ، والكندُوز ، والحاج إدريس الحنْش ، وغيرهم . وأكثر الشعراء ينظمون فى هذا الموضوع لإظهار براعتهم حتى إننى أحصيت نحو الستين ساقيا لثلاثة وثلاثين من الشعراء .

أما الهجاء فقد برعوا فيه وتفوقوا . ويسمونه «الشَّحْط» ، وهو «الدَّق» عند أهل مراكش . وإذا كان شعر المدح لم يحفظ لأن فائدته مقصورة على المادح والممدوح ، فإن الهجاء لهم به ولوع ، ويرون فيه الشعر الصادق ، فإنه غالبا مايصدر عن غضب وتأثر ، وذلك أنه كثيرا ماتقوم نزاعات بين أشياخ الملحون حول قضايا ترجع لفنهم وتؤدى إلى مساجلات ومناقضات مما يدمعهم إلى الهجاء . وقد حفظت قصائد كثيرة ممتازة فى هذا النوع الأدبى ، وهى تحمل أسماء مختلفة ، منها «الدّعِى» ، أى الذى يدعى المعرفة والتفوق وهو دون ذلك ، ومنها المطموس ، ومنها مايحمل اسم القافية كالضادية والواوية مثلا . ومن أشهر القصائد الهجائية «قصر العنان ، للشّاوى» ، وقد ابتكر العرابلى وبَريسُول فى مساجلاتهما معانى جديدة مقتبسة من الحروب البرية والبحرية فسموا قصائدهم المهـرار . (المدفع الكبير) ، والقرْصَان ، أى السفينة الحربية التى كان القراصنة يغيرون بها على أعدائهم . وسمى الغرَابلى إحدى قصائده بالغطَّاس قبل أن يُحترع ويُعرف .

وقد بلغ ولوعهم بالهجاء لدرجة أنه لاتجد قصيدة إلا فى ماقل ، باستثناء كلام السِّى التهامى المدَغْرى وسيدى قدُّور العَلَمِى ، لايحتمها صاحبها بهجاء خصومه ولو بإشارة خفيفة ، فإذا أطـال فذلك مايسمى «بالزَّرْب» ، ويعنون بذلك أنهم يحيطون إنتاجهم بزرب من الشوك فلا يستطيع أحد من المعاندين الجاحدين الاقتراب منه ولاخرق ساحته ، ورغم كل هذا فإنهم لايحبذون الهجاء الشخصى ، أى الذى لايكون سببه خلافا فنيا أو مساجلة ، وإنما مجرد هجو ناتج عن عداوة مثلا ، ومثل هذه القصائد يطلقون عليها اسم «فصيحة» وهى لاتُقبل ولا تُحفظ . ويعاملونها معاملتهم لقصائد المدح ، ويرون أن فائدتها شخصية ، ولا تعنى إلا القائل ومن قيلت فيه .

وينظمون كذلك فى الرثاء ويسمونه «العَزَا» ، أو «العزُو» إلا أن القصائد فى هذا النوع بما أنه لايغنى بها فإنها تضيع ولاتحفظ ، وإنما نجد بعضها

فى الكنانيش القديمة مثل رثاء المنصُور السَّعْدِى لسيدى عبد العزيز المغْرَاوى .

وزيادة على هذه الأنواع التى توجد فى الأدب العربى الفصيح ، فقد امتاز شعراء الملحون بطرق مواضيع إما لاتوجد مطلقا فى الشعر العربى القديم أو الانتاج فيها كان ضئيلا وضعيفا .

من ذلك ، النوع المسرحى الذى مع الأسف لم يلهموا إخراجه فى شكل تمثيلى حقيقى ، وإنما بقى فى طوره الموسيقى المحض ، وإن كنت أرى أنهم اقتبسوا هذه المحاورات والمواقف المسرحية التى نجدها فى القصائد التى نظمت فى هذا النوع من الألعاب التى كانت تجرى بفاس وبمراكش أيام عيد الأضحى ، وتسمى الفرَاجَة أو بَالشِّيخ ، حيث تعرض روايات هزلية يقوم بتمثيلها أشخاص معروفون بإتقان أدوار خاصة .

وهذا النوع الأدبى يسمى عندهم ترجمة والمواضيع التى يطرقونها متنوعة ، لكن أكثرها هو مايسمى « الحرَّازْ » ، حيث يصورون شخصا يحب امرأة ويحاول الاتصال بها ، فيأتى فى صور مختلفة ليحصل على ثقة بعلها الذى يمنعها ويحرزها ، لذلك يسمى الحرَّاز ، فيصدّه ولايترك له مجالا حتى يوفق إلى المجىء فى صورة ينخدع فيها الحراز ، فيتوصل العاشق إلى مرغوبه .

ومنه أيضا القصائد التى تسمى « الضَّيْف » وهى تصور محبوبا يأتى عند محبه متنكرا فى صورة من الصور ، ويطالب منه «ضيف الله » ، وتقع بينهما محاورات ثم ينكشف له أنه حبيبه جاء عنده فى غفلة من الرقباء .

ومنها القصائد المسماة «القاضى » ، حيث يصور الشاعر أنه يحاكم محبوبه عند القاضى ويقدم حجج محبته وغرامه حتى يقضى له الحاكم بأنه محق فى دعواه .

وتارة يكون موضوع القصائد فى هذا النوع المسرحى مفاخرة مابين أشخاص كالعربية والمدينية ، أى البدويةوالحضرية ، أو كالأمَة والحرَّة ، أو كالعجوز والشابّة ، وهكذا ، أو بين أشياء كأزهار ونحوها . والقصائد فى هذا المعنى تُدعى « خصاما »

ومن المواضيع الطريفة فى الملحون الرحلات الخيالية ، وهم يصورون أنهم يوجهون طائرا ، إما لزيارة مكة والمدينة شوقا إلى تلك البقاع المقدسة ليصف المراحل التى يمر بها إلى أن يصل إلى الحجاز ، أو يوجهونه إلى الحبيب أو إلى الأصدقاء فى بلد بعيد وفى كل هذه الأحوال توصف الطرق والمنازل التى يمر بها الطائر ، والقصائد المنظومة فى هذا النوع تحمل عادة أسماء الورشان ، والحمام ، والمرحول ، والطلعة ونحوها

ومما يمتاز به الملحون أيضا ، وهو شبيه بالرحلة من جهة وصف البلاد أو أحياء مدينة من المدن ، مايتخيلونه من أن المحبوبة تركت عند حبيبها حاجة كحلى أو نحوه كتذكار ، ثم ضاعت له فأخذ يبحث عنها وتسمى عادة هذه القصائد باسم الشىء الضائع « كالخلخال » ، « والدمليج » أى السوار ، « والدواح » و « المقياس » ، وهو السوار كذلك ، « والسالف » ، ويعنون به ضفيرة من شعر المحبوبة .

ومن هذا النوع كذلك قصائد رمزية يشبهون فيها المحبوب السافر الهاجر بحيوان كان يألف المنزل ثم هرب وتلف ، فيقوم الشاعر بالبحث عنه كذلك . ومثل هذه القصائد تسمى « الطرشون » ، وهو الباز الصغير ، « والعزال » و « الطير » ونحو ذلك

ولشعراء الملحون براعة فى الشعر الحكاهى . والمواصيع التى يطرقونها فى هذا الباب كثيرة ومتنوعة . وتحمل القصائد الهزلية عادة مثل هذه الأسماء : « الزردة » و « الضمانة » و « الفار » و « الطحين » وغير ذلك .

ويختص الشعر الملحون بنوع يسمى عندهم « الجفريات » ، وهو التنبؤ بالحوادث المستقبلة . والواقع أنهم يتخذون هذا الأسلوب كغطية للنقد السياسى متخذين لهذه الغاية إشارات ورموزا يدركها المعاصرون ويفهمون مغزاها . وأكبر من برز فى هذا النوع : الفقيه العميرى . وكان أيام المولى عبد الرحمن ، وله عدة قصائد جفرية منها اللامية (وكثير من قصائد هذا

النوع تحمل اسم القافية) . وقد ورد في هده اللامية هذا البيت :

داك الوَلْـد المهْبُول
أَصْلُهُ مَن أَنَاضُول
الفَرْخ يشْبَه اخْوَالُهْ

فلما ثار المولى عبد الحفيظ على أخيه المولى عبد العزيز ، أخذ الناس يقولون إن الفقيه العميرى عنى فى هدا البيت المولى عبد العزيز ، لأن أمه سَرْكسِية جاءت من بلاد الأناضول بتركيا .

ولما انهزمت فرنسا سنة 1940 فى الحرب الأخيرة ، أخذ الناس ينتسخون قصيدة جفرية لأحد شعراء مراكش يدعى الموقِّت ، كان يعيش فى أوائل هذا القرن وتسمَّى « الزَّازية » (أى قافيتها زاى) ، تعرض فيها للانتقاص من الفرنسيين والتنبؤ بهزيمتهم

وتوجد كذلك قصائد سياسية نظمت بمناسبات وطنية كالقصائد المسماة « التطوانيات » ، حول حرب المغرب مع إسبانيا سنة 1859 — 1860

وقصائد حول فتح بُونابارت لمصر ، وحول دخول الفرنسيين لوجدة . وقد نظم الشعراء كذلك فى مساندة الحركة الاستقلالية أيام النضال وأشهر من برع فى هدا الباب الشاعر الملهم الشيخ العيسوى الفَلُّوسْ من أهل فاس رحمه الله وكل الشعراء المعاصرين نظموا فى التنويه بجهادمحمد الخامس قدس الله روحه ، ووارث سره جلالة الحسن الثانى نصره الله .

وينظمون فى الألغاز ويسمون عادة هذا النوع « السَولاَن أو السوَال » ، وهذا النوع مطية لإظهار البراعة فى الاطلاع على معلومات عن أشياء غريبة يستمدونها من اتصالاتهم وملازمتهم لبعض العلماء ومن مطالعة كتب العجائب والغرائب .

ولهم قصائد تعليمية ينظمون فيها التوحيد والسيرةالنبوية والمنازل الفلكية ومثل هذه القصائد الأخيرة تسمى « ترحيل الشمس » ، وممن نظم فى ذلك المغراوى من القدماء والحاج أحمد الغرابلى من المحدثين .

ومن المواضيع التى نظم فيها بعضهم ما يسمونه بالقصائد « الحسبية » تسمية

الشيء بنقيضه ، وهى من باب رجوع الشيخ إلى صباه ونحوها ، وهى من الشعر الذى لا ينشد إلا فى بعض مجالس اللهو أو بين جماعة من الناس ارتفعت من بينهم كل كلفة .

وامتاز كذلك شعراء الملحون بالنظم فى موضوع لا نعرفه فى الأدب العربى القديم ، وهو موجود فى الأدب الغربى وهو مسخ القصائد (ويسمى بالفرنسية مثلا Parodie) . وذلك أنهم يعمدون إلى قصائد جدّية معروفة ، ويقلبون موضوعها إلى الهزل والسخرية . وكثيرا ما يحولونها إلى النوع الحسى المشار إليه آنفا . وممن اشتهر فى هذا النوع من شعراء الملحون أحد شعراء أحد مراكش كان يدعى أحْمَر الرّاس من رجال أوائل هذا القـــرن العشرين ، ومنهم الفقيه الرّاف من أهل فاس ، وكان يقطن مراكش .

وأهم نوع برز فيه شعراء الملحون الشعر المَلحمى « الأبوبية » ويسمونه « العروات » . والحقيقة أن القصائد التى موضوعها حروب المسلمين مع الكفار ليست هى كل الشعر الملحمى فى الملحون فهناك كذلك قصص « أبوبية » تتعلق بسير الأنبياء والأولياء تتخللها كثير من الخوارق . ومن أشهر شعراء العزوات والقصص الملحمية سيدى عبد العزيز المعراوى وله فى ذلك الموؤودة وجرير والشدادية والشباب الغسانى وغيرها ، ومنهم سيدى مبارك أبو الأطبَاق وقد كان له أثر على شعراء الملاحم .

ومن آثار سيدى مبارك أبو الأطباق عزوة الصيـــد بن سلامة المخرومى والإسرائيلية والراحة ، وتسمى كذلك غزوة أبيض ابن صلصال ، ويقصد بالراحة هنا شفاء سيدنا على كرم الله وجهه من رمد ، وله فتوح افريقية وغير هذا من القصائد الرائعة فى هذا الموضوع الخيالى أما سيدى محمد ابن يَحْلف ، وهو كذلك من شعراء الملاحم ، ومن قصائده الرهيب (الراهب) ، و « الصيافة » ويعنى بها ضيافة رب العزّة لعباده ، وقصة « الشباب مع أبى جهل » و « أبو يزيد البسطامى مع رهبان الدير » وغيرها كثير ، وقد كان يعيش فى أواخر

القرن الحادى عشر الهجرى وأوائل الثانى عشر : وهو يؤرخ قصائده . وما وقفت عليه من كلامه مُؤرَّخ ما بين 1095 ، 1120 هـ

وقد كاد ينعدم هذا النوع ، إذ لم ينبغ فيه بعد هؤلاء الشعراء إلى أوائل هذا القرن أحد ، إلا ما كان من قصيدة أو قصيدتين تعرف لبعض الشعراء وكأنهم كانوا يتعمدون النظم فى الغزوات والقصص الملحمية ليبرهنوا على براعتهم وقدرتهم . فمن ذلك « النباش » للشيخ الجيلالى مثير و « الصالحية » لسيدى عبد السلام الزفرى ، و « العِيوَاجية » للسِّى الكبير ابن عَطِية ، و « الكهفه » للشيخ غانم القصْرى ، و « النمرودية » للغرابلى . وفى أوائل القرن أحيا هذا النوع الشيخ المكِّى ابن القُرْشى فنظم فيه الشىء الكثير « كالعاشقة مولاة التاج » و « جمجمة » و « البغدادية » و « اليوسفية » و « الشـــدَّادية » و « الشريفة » وسيدُوك النصْرى » .

وقد كان رجال الاستعمار أيام الحماية يمنعون إنشاد هذه القصائد فى الأسواق وكان المراقبون إذا تقدم لهم أحد « المدَّاحين » يطلب الإذن فى السفر للتجول فى المدن والقبائل قصد ترويج بضاعته أول ما يسألونه عنه هل يحفظ العَزَوَات ؟ فإن أجاب بالنفى أعطى الإذن وإلا مُنع ، لأنهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية والدينية فى النواحى التى كانت ما تزال بعيدة عن أثر الدعوة الاستقلالية .

هذه نظرة وجيزة عن جانب من هذا الفن البديع ، وإننى أهتم به ، وأجمع الإنتاجات التى أبدعها الأشياخ المغاربة ونعنى بهذا التعبير الشعراء منذ نعومة أظفارهم ، وجمعت من القصائد خمسة آلاف قصيده ، ومن الشعراء خمسمائة شاعر ، ووضعت أسس عروضه ، ومصطلحاته ، وجُمع من ذلك كله مؤلف ضخم ، يحتوى على عشرين جزءًا ، أخذت الأكاديمية المغربية تنشره وسيظهر ، إن شاء الله تعالى ، جزؤه

الأول بعد شهر ، وقدم له صاحب الجلالة الحسن الثانى ، نصره الله ، برسالة سامية ، أوضحت قيمة هذا العمل ، وقدره تقديرا يشرفنى ويشرف الأكاديمية فجزاه الله خيرا عن الثقافة والعلم .

وشكرا لكم على حسن استماعكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الفاسى
عضو المجمع من المغرب